من ثمرات الجهاد

يكتبها الشيخ: محمد يوسف عباس

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

خمس سنوات مضت على استشهاد الشيخ عبد الله عزام -رحمه الله- إمام المجاهدين وباعث روح الجهاد في الأمة الإسلامية في أصقاع الأرض، بما كان يحمل من روح وثّابة، وأمل عريض، ورؤية بعيدة المدى لمستقبل الإسلام وانتصار المجاهدين في أفغانستان، لما يرى من صلابة المجاهدين وثباتهم في مواطن البأس، واشتعال جبهات القتال في شتى بقاع أفغانستان ضد الملحدين الشيوعيين الروس وحكام كابل، ويرى تساقط المراكز الشيوعية بيد المجاهدين، وانهزام الروس أمام المجاهدين وانسحاب جيوشهم من أفغانستان، وتضييق الخناق على الحكومة الشيوعية في كابل حتى أصبحت كابل والمدن الرئيسية في أفغانستان محاطة بالمجاهدين إحاطة السوار بالمعصم، وبات سقوط الحكومة الشيوعية وشيكاً بين عشية وضحاها، ولولا تدخل القوى الخارجية في مصير أفغانستان لسقطت كابل منذ انسحاب الروس.

ولكن العدو الذي يحارب المسلمين في أفغانستان منذ اندلاع جذوة الجهاد وتميز رايته ليس الشيوعية وحدها، وإنما هي الجاهلية بشتى مللها ومذاهبها، الشيوعية، والصليبية والصهيونية، والعلمانية، والوثنية، والباطنية، وإن الذي أرعبهم وجمع كلمتهم على حرب الإسلام رغم اختلاف مذاهبهم هو عودة الإسلام حياً قوياً على أيدي المجاهدين الأفغان، يحطم الترسانة الروسية، ويقهرها في ميدان النزال، ويذل كبرياءها، ويدحرها مغلوبة مقهورة، رغم ضعف الشعب الأفغاني وفقره، وحاجته لمقومات الحياة والدفاع، ولكن صدق المجاهدين وثباتهم وصبرهم واحتسابهم جعل النصر حليفهم بإذن الله، وسقطت راية الإلحاد في كابل، وارتفعت راية المجاهدين، مما أدخل المجاهدين الأفغان في مرحلة جديدة من الجهاد وهي التصفية الداخلية؛ إذ وجدت الأيدي الخفية فرصتها، وهي كثيرة، وكلها تكره الإسلام وتعمل جاهدة لمنع إقامة دولة الإسلام بل وتشويه صورة الجهاد المشرقة التي ارتسمت في أذهان المسلمين عن الجهاد الأفغاني. كان الشيخ عبد الله -رحمه الله- يعتبر الجهاد الأفغاني نقطة تحول في تاريخ هذه الأمة، والأمة إذا بدأت صعود سلم المجد لن تقف حتى تصل القمة وتدرك غايتها وتحقق أملها بإذن الله تعالى.

فالجهاد الأفغاني وإن وقف في منعطف فتنة يؤجج أوارها الحاقدون على الإسلام الذين ترعبهم تكبيرة المجاهد، ليحطموا آمال المسلمين وييأس المسلمون من الحركات الجهادية في ديار الإسلام، ويعلقوا آمالهم بالحل السياسي لقضاياهم، ويقفوا على أعتاب الغرب الصليبي يستجدون منهم بعض حقوقهم .

إلا أنه قام بدوره، وأدى ما يمكن تأديته للأمة الإسلامية، وأثبت لأهل الأرض جميعاً أن الحق أقوى من الباطل مهما كان الحق ضعيفاً ومهما كان الباطل قوياً، وأثبت أيضاً أنّ المساومة على الحق والقبول بأنصاف الحلول هي سر الهزيمة، ولن نقف عند حد حتى يعود المسلمون بخفي حنين، كما نرى في فصول القضية الفلسطينية وأدوار ياسر عرفات. ولقد تحطمت على صخرة الجهاد الأفغاني كل أزمات الشعوب الإسلامية، وأخذت منه الدروس والعبر، وكان الميدان الفسيح الذي استوعب كل راغب في الجهاد، فصدر عنه كل صاحب حظ عظيم وقد امتلأ قلبه عزة بالجهاد، وعقله نوراً بالإسلام، وجوارحه ثباتاً على سبيل الجهاد.

فأولئك الذين ربحوا في سوق الجهاد قد فتحوا أسواقاً للجهاد في ديارهم المُعتدى عليها من قبل الطواغيت الذين يظلمون الناس ويعبدونهم لغير الله ويحكمون فيهم بغير شرع الله، فكانت منهم البيعة لله في أفغانستان، حتى إذا انتهت أفغانستان بالنسبة لهم انتقلوا إلى ديار أخرى هي أحوج لهم من أفغانستان.

فقد كانت راية الجهاد في أفغانستان وحدها تتحدى الجاهلية جمعاء بوجوب إقامة دولة الإسلام وتطبيق شرع الله، إلا أننا اليوم نرى رايات الجهاد تعم كثيراً من ديار المسلمين.

ففي البوسنة التي فرضت عليها المعركة من قبل الغرب الصليبي لا لشيء إلا لأنهم اختاروا الإسلام دينهم ليعيشوا في ظله، وقد عاشوا في ظل الإلحاد فما جنوا إلا الشقاء والحرمان والظلم والطغيان.

ولقد كان ارتفاع راية الجهاد في البوسنة رغم الظروف الصعبة على المجاهدين ليستيقظ المسلمون على حقد الصليبيين ولينفروا في سبيل الله وليفروا إلى الله وليفروا إلى الله، وليضع ذلك الظلم الفاضح والتواطؤ الكبير من دعاة حقوق الإنسان وأدعياء حرية الإنسان وحماته مع الحاقدين من الغرب الصليبيين فهماً عميقاً وفاصلاً في قلب كل مسلم، أن أهل الكفر ملة واحدة مهما اختلفت دياناتهم، فهم أعداء الله وأعداء المؤمنين، وصدق الله العظيم فيهم إذ يقول} :وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ

مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ] {البقرة: ١٢٠]، فهم بخير ما داموا صامدين وإن عظمت التضحيات، رغم التواطؤ العالمي ضدهم والحصار الاقتصادي والعسكري.

وفي طاجكستان التي تشابهت ظروفها مع ظروف البوسنة فهم كذلك بخير ما دامت أيديهم على الزناد لم يلقوا السلاح، وهم كذلك أقدر على إعداد الشعب الطاجيكي للجهاد، ونفح روح الجهاد في شعوب الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى منهم لو ألقوا السلاح وقنعوا بالحل السلمي الذي سيجردهم من كل مكتسبات الجهاد.

وفي الجزائر انكشف زيف الديمقراطية، وظهر حقد العلمانيين أعداء الله ورسوله على الإسلام والمسلمين، فكان الجهاد الذي عمّ الشعب الجزائري المجاهد الذي عرفه الاستعمار الصليبي في حرب التحرير بصلابته وشدة مراسه، واستعلائه على الباطل، واسترخاصه الموت في سبيل الله، واليوم قد انكشفت الغشاوة التي كانت تجلل بصره في حرب التحرير، فهو يريد أن يكفّر عن خطئه وغفلته التي أسلمته للقيادة العلمانية التي كبلته بالعلمانية والاشتراكية في ثوب الوطنية والقومية، فهو اليوم في صعود في طريق العزة والكرامة، لا يلوي على شيء من عروض الدنيا حتى يُعلي كلمة الله ويظفر بكرامة الله.

وفي السودان استطاعت القيادة في ظل ثورة الإنقاذ أن تخلص البلد من الأنظمة الجاهلية وتزرع النظام الإسلامي في شتى مجالات الحياة والاقتصاد والسياسة والإدارة والتعليم والقضاء والدفاع، وتعيد صياغة المسلم السوداني صياغة جديدة تؤهله للتفاعل مع الإسلام، والقيام بدوره في تبديد ظلام الجاهلية عن طريق مراكز الدفاع الشعبي التي استطاعت أن تعد المجاهدين الذين رفعوا راية الجهاد وطهروا جنوب السودان من فلول المتمردين الذين كانوا حرباً على كل دعوة إصلاح وخير تعيد للسودان مجده وعزه، ويثبت السودان أمام الحرب الشعواء المعلنة عليه من قبل الجاهلية بشتى مللها ومذاهبها.

والشعب السوداني يعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفقر والحرمان في ظل شرع الله والاعتزاز بدين الله خير من الغنى والحياة الذليلة في ظل الكفر والتبعية لدول الكفر.

وإن ما يغيظ الكفار من السودان هو التغيير النفسي والفكري والاجتماعي الذي يسير على قدم وساق، وقد عمّ ذلك جميع مجالات الحياة، وهو القاعدة الصلبة التي تقوم عليها دولة الإسلام، وتبني حضارة الإسلام من جديد في ظل ما توصل إليه الإنسان من علوم وتكنولوجيا جديدة، تجعل المجتمع المسلم كتلة واحدة يقوم بحق الله في الأرض، وينفي عنه الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد.

وقد كان للجهاد الأفغاني أثره في الجهاد الإرتري، إذ تم تصحيح المسار، وبرزت الراية الإسلامية منفصلة عن الراية الإلحادية، واجتمعت الصفوف تحت قيادة واحدة. وكذلك تحرك الجهاد في أرومو وأوجادين.

ولقد كان للجهاد الأفغاني الأثر البالغ في اليمن، إذ كان للمجاهدين الذين ربحوا في سوق أفغانستان القدح المعلى في تحطيم الإلحاد في اليمن، واستراحت اليمن من الراية الإلحادية التي أذاقت الجنوب اليمني مرارة الحرمان والكفر والشقاء، وأرادت أن تعبث بالشمال، فكانت نهايتها على يد أولياء الله الذين استرخصوا الموت في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وحقق الله لهم ما أرادوا، وسعدت الأمة بجهادهم واستراحت من شر الملحدين.

وفي الفلبين تميزت الراية الإسلامية عن الراية الجاهلية العلمانية، وقويت شوكة المسلمين، وسقطت الحركة العلمانية في أحضان الحكومة الصليبية، وبقيت الراية الإسلامية متميزة مرفوعة، وهي منصورة بإذن الله ما استقامت وأخلصت لله، وابتغت ما عند الله، وارتفعت عن المتاع الرخيص إلى ما أعد الله للمجاهدين.

وكذلك في كشمير إذ رفعت راية الجهاد، تتحدى البغي الهندوسي وتثبت أمام الجيوش الهندية، وقد عجزت الهند عن القضاء على المجاهدين رغم قوتها وكثافة جيوشها، وحرمان المجاهدين من المدد المادي والبشري.

وإننا على يقين أنّ راية الجهاد ستبقى تخفق في السماء حتى يطبق جند الله بقاع الأرض، تحررها من طغيان الطاغوت وتعبّدها لرب العالمين، والله وحده هو الذي يمد أولياءه بالثبات والتأييد والنصر والتمكين، {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا] {الفتح: ٧...]

الأمة سعادتها في جهادها، وشقاؤها في قعودها ورضاها بالدنية في دينها، والواقع شاهد على ذلك؛ من عزة الذين امتشقوا الحسام واستهانوا بوعيد الظالمين لوعد الله الكبير المتعال، وذلة الذين خنعوا وسكتوا وخافوا الفتنة، وما وقعوا

فيه من الفتنة أعظم من الذي خافوه، فرفع الله عنهم يده، وسلط عليهم الأعداء، فأخذوا ما بأيديهم وملكوا الأمر فيهم، وشرعوا السيف سلطاً على رقابهم، فلم ينفع بعدُ عض أصابع الندم.

والحمد لله رب العالمين.

نقلاً عن مجلة الجهاد: العدد ١١٦
رجب ١٤١٥هـ / ديسمبر ١٩٩٤م - يناير ١٩٩٥م